مشكلة الاحواض النهرية المشتركة

نهر دجلة يستلم مياهه بنسبة 57٪ من تركيا و 13.5٪ من ايران و29.5٪ من داخل العراق (وتحديداً من الجزء الشمالي الشرقي الواقع ضمن حدود اقليم كردستان)، الشكل (39)، وهو يعاني من الضغط الشديد داخل العراق ايضاً اذ يمر مجراه ومجرى روافده بأراضي 11 محافظة عراقية قبل ان يصل الى محافظة البصرة لتكون المحافظة رقم 12 بإستثناء المحافظات التي تعتمد على بحيرة الثرثار وجدول الغراف ومصدرهما من مياه نهر دجلة ايضاً)، الشكل(40) ويجري استهلاك معظم مياه النهر خلال رحلته الطويلة اذ يبلغ طوله بحدود 1900 كم، وفي هذه المسافة يقوم بحمل ملوثات تلك المناطق التي يمر فيها الى آخر نقطة في مجراه وهو شط العرب الذي يمثل شريان الحياة في محافظة البصرة، وكمية نهر دجلة ونوعية مياهه تشكل المادة الاساسية لكافة اشكال الاستهلاك المائي في المحافظة، اذ تعتمد البصرة على مصدرين من المياه العذبة اولهما قناة مياه البدعة ومصدرها مياه جدول الغراف المتفرع من نهر دجلة مقدم سدة الكوت، وتوفّر هذه القناة ما بين عن 5 -7 متر مكعب بالثانية (وقد تزيد او تقل بعض الاحيان عن هذا الرقم) لسد بعض متطلبات الاستخدامات المنزلية في البصرة من المحافظة)، وثانيهما المياه المسحوبة من مياه شط العرب لتلبية الاحتياجات على جانبي شط العرب، ومنها ضخ مياه الاسالة لمناطق مركز محافظة البصرة والتجمعات السكنية في اطراف المحافظة.

ويعد التخزين والاستئثار بالمياه المارة في منابع دجلة والفرات والكارون في تركيا وايران وسوريا من اكبر التحديات في الملف المائي للعراق، واتضحت خلال السنوات الاخيرة اثار مرعبة لمشاريع تركيا وايران وسوريا بالتزامن مع وضوح التغيرات المناخية وفترات الجفاف وشحة الامطار في المنطقة، مما أدى الى التراجع الكمي والنوعي في الايرادات السنوية، وقد افرز ذلك نسبة تناقص في ايرادات نهر دجلة، وازدادت المشكلة حينما اعلنت تركيا في آب من العام 2007 عن وضع حجر الاساس لسد اليسو على نهر دجلة قرب منطقة دراغتبيجن على بعد (45 كم) من الحدود السورية، وهو احد اقسام مشروع (GAP) العملاق، الشكل(41)، وهو اكبر مشاريع التنمية الاقتصادية والانمائية التركية في حوض دجلة وله دور اقتصادي كبير لأنه يشتمل على 6 مشاريع ضخمة ويشتمل كل مشروع من هذه المشاريع على سد او اكثر اضافة الى منشآت قنوات الري، وسد اليسو احد انواع السدود الاملائية الركامية، بمنسوب يبلغ ارتفاعه (530م)، وبأقصى منسوب خزن خلال الفيضان بمعدل (528م)، و(525متر) خلال التصاريف الاعتيادية، وتبلغ المساحة السطحية لبحيرة السد (300 كم^2) بحجم خزن كلي يقدّر بحوالي (11.40 مليار متر

مكعب)، وسيولد السد طاقة كهربائية تصل إلى (1200 ميكاواط) وطاقة سنوية تبلغ(3830 كيلو واط)، وهو من اكبر السدود على مستوى الشرق الاوسط والعالم، وبلغت تكاليف انشائه 1.2 مليار دولار(علي، 2017). وكان السد مثار جدل كبير منذ بداية فكرته الاولى نهاية السبعينيات، لوجود تأثيرات سلبية على تجمعات بشرية في المدن الكردية في تركيا، كما انه سيزيل مواقع آثارية وتاريخية آشورية ورومانية وعثمانية ومنها موقع حسن كييف، يضاف الى ذلك تأثيراته الكارثية المتوقعة على الواقع المائي والزراعي في العراق(الياسري، 2006). ويشير باحثون الى ان دوافع تركيا من مشروع GAP سياسية وليست إنمائية كما تدعي وعلى ما يبدو ان تركيا تهدف إلى تسويغ سياستها المائية مع الدول المتشاطئة في نهري دجلة والفرات وتسعى للقيام بدور إقليمي بعد انتهاء الحرب الباردة وفق حسابات سياسية استراتيجية مستفيدةً من تزايد الاهتمام بالموارد المائية لتواجه لمواجهة المتغيرات الدولية والإقليمية في الشرق الاوسط وتحقيق موقع فعال ومؤثر في النظام الدولي الجديد(علي، 2017). كما ان تركيا تتعامل بسياسة مائية تقتضي اعتبار نهري دجلة والفرات شبكة مائية واحدة وعلى انهما من المجاري المائية العابرة وليس انهاراً ذوات صفة دولية، وهي تسعى للتحكم بمعظم مياهه داخل اراضيها عن طريق تكثيف إقامة السدود والخزانات على النهر(حسين ونجم، 2015).

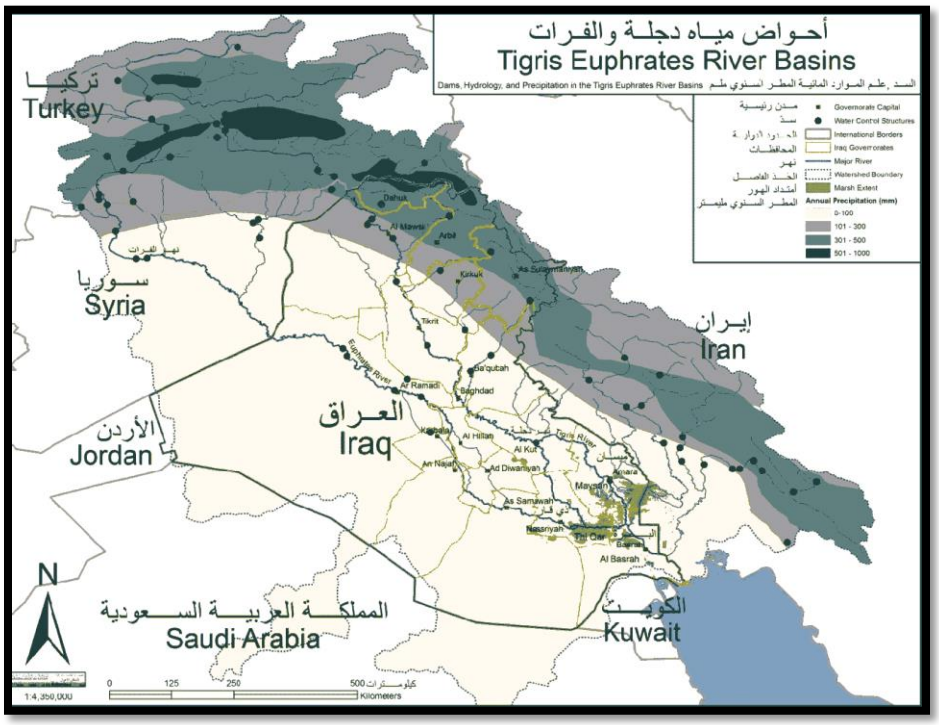

الشكل(39) احواض الانهار والروافد الرئيسة في العراق

وسوف يجري التركيز على المشكلات المائية المرتبطة بنهر دجلة لان محافظة البصرة اصبحت تعتمد على مياهه فقط منذ العام 2010 بعد قطع نهر الفرات بعد حدود محافظة ذي قار مع البصرة، وبهذا فأن ما يقارب من نسبة 60.5٪ من مياه نهر دجلة تأتي من خارج العراق وتحديدا من تركيا وايران وسوريا، وحوالي 29.5٪ من داخل العراق معظمها يقع في اقليم كردستان الجدولين (8) و(9)، وان كل الاطراف التي تمر بها روافد النهر خططت للاستحواذ على كمية المياه التي تمر في أراضيها.

وبالرغم من ان تاريخ العراق المائي الطافح بالفيضانات المتكررة والطمى التي ملئت مئات الكيلومترات المربعة في اراضي ومسطحات في الوسط والجنوب، الا ان الحال تغير واصبحت محافظات العراق الاخرى تعاني ومنذ مطلع تسعينيات القرن المنصرم من ارهاصات جفاف واضح وازمات حقيقية لشحة المياه، وقد عمّقت الأوضاع السياسية من تلك المشكلات وساهمت في زيادة آثارها.

جدول(8) نسبة الايرادات المائية من مصادر تغذية نهر دجلة للفترة (2000 -2015) عن المسافر ، 2018)

النهر	التصريف م^3/ثا	النسبة المئوية من التصريف الاجمالي	نسب الايراد		
			تركيا	ايران	العراق
عمود نهر دجلة في الموصل	489,4 (❖)	٪43.99	٪100		
نهر الزاب الكبير	344	٪30.92	٪42	-	٪58
نهر الزاب الصغير	130	٪11.69	-	٪56	٪44
نهر العظيم	18	٪1.62	-	-	٪100
نهر ديالى	131	٪11.78		٪59	٪41
معدل التصريف (مجموع الايراد السنوي)	1112.4 (35.04 مليار متر مكعب)	٪100			

المصدر: اجريت الحسابات وفق الارقام المأخوذة من وزارة الموارد المائية، والواردة في (المسافر، 2018).

(❖) التصريف في الموصل لايمثل الوضع الحالي بعد تشغيل سد اليسو في صيف 2018 اذ قل التصريف القادم من تركيا بشكل حاد وغير محدد حالياً الا في بعض الاستثناءات كالفيضان الربيعي عام 2019.

الجدول(9) المجموع الافتراضي لما يتولد من مياه في نهر دجلة داخل العراق

(بحسب الجدول7)

البلد	تصريف عمود دجلة م^3/ثا	تصريف الزاب الكبير م^3/ثا	تصريف الزاب الصغير م^3/ثا	تصريف ديالى م^3/ثا	تصريف العظيم م^3/ثا	المجموع من ايراد دجلة م^3/ثا	النسبة من الايراد الكلي ٪
العراق	-	199.5	57.2	53.71	18	328.41	٪29.5
تركيا	489,4	144.5	-	-	-	633.9	٪57.0
ايران	-	-	72.8	77.3	-	150.1	٪13.5

الشكل (40) المحافظات العراقية التي تعتمد على مياه نهر دجلة

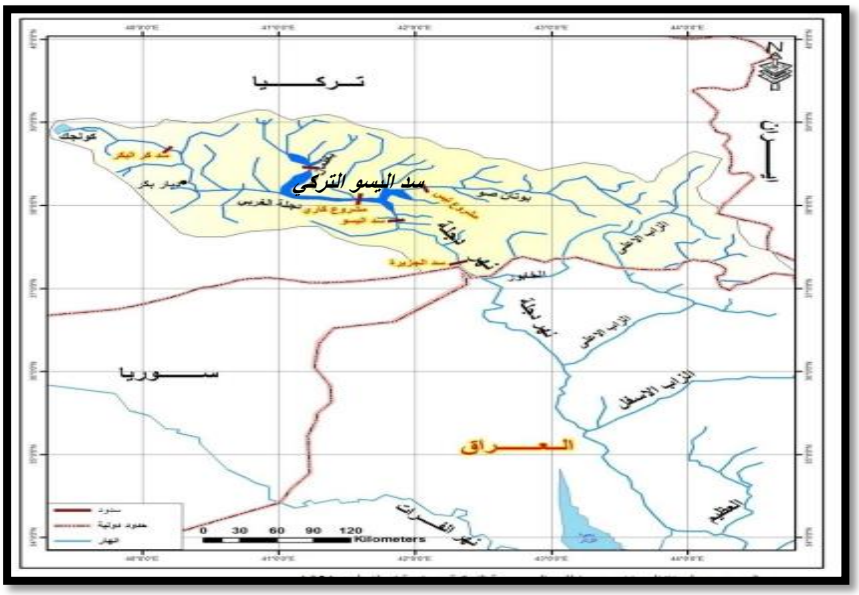

الشكل(41) مشروع CAP التركي وموقع سد اليسو في حوض نهر دجلة في تركيا (عن عزيز ونجم 2015،)

اللوحة (16) منظر جوي لسد اليسو في تركيا وبداية املاءه (عن **وكالات**) .

وخطورة سد اليسو يأتي من موقعه على عمود نهر دجلة قبل عبوره الحدود التركية مع سوريا لأنه سيحول موقع الخزن من العراق الى خارجه، بمعنى انه سوف يستبدل الخزن في سد الموصل (الذي يعتمد عليه العراق جذريا خلال فترات مواسم نقص التصريف في فصل الصيف) بالخزن في سد اليسو ليتم استثماره داخل الاراضي التركية، ومن المتوقع ان يشهد العراق شحة مائية كبيرة اذا مضت تركيا في قرارها حول املاء سد اليسو وتوسعت في اكمال وتشغيل السدود الملحقة به وبالأخص سد جزره، اذ بدأت تركيا بإنشاء مشروع الغاب الذي يعد سد اليسو من ابرز منشآته الهيدروليكية، اضافة الى منشآت اخرى، الجدول(10)، وقد باشرت تركيا ببناء سد اليسو الذي كان يفترض أن يكتمل في 2014، ولكن توقف التمويل المادي من بعض الدول الغربية لبروز ملامح الكارثة التي ستترتب على تشغيله، وعندما يصل العجز المائي إلى درجة تؤدي إلى إضرار اقتصادية واجتماعية تتمثل بازدياد الطلب على المياه وعدم السيطرة على الهدر فسوف تحدث ازمة حقيقية تؤثر على جميع المصادر الطبيعية المرتبطة بمتطلبات التنمية المتواصلة وقطاع مستخدمي المياه (الجبوري والجميلي،

2009). وهذا سيحرم العراق من المصدر الرئيس لاستخدامات المائية داخل العراق، لانه سوف يتسبب بفقدان نصف تصريف نهر دجلة ولتوثيق ذلك فان السعة الخزنية لسد الموصل هي 11 مليار متر مكعب وهي قريبة جدا من السعة الخزنية لسد اليسو 10.4 مليار $م^3$. علما ان هذا السد سيؤدي الى خفض الايراد المائي لنهر دجلة على المدى المنظور من 15.4 مليار $م^3$/ سنة الي ما يقارب 7 مليار $م^3$/ سنة أي بنسبة تفوق نصف التصريف الحالي من المياه المتدفقة باتجاه العراق(حميد ، 2015). وهذا سوف يسبب خللاً كبيراً ببرنامج الخزن العراقي خلال الفترة الواقعة بين الاشهر تشرين الاول - حزيران، وسوف يسبب انهيار برنامج الاطلاقات المائية من سدود العراق الى مناطق الوسط والجنوب الذي تعتمد عليه الحياة في العراق خلال اشهر الصيف خصوصاً خلال الاشهر حزيران -ايلول، وما لهذا من تأثير في الاستخدامات المائية داخل العراق، اذ ان نهر دجلة هو المورد الاهم الذي يتكفل بمعظم احتياجات السكان الاساسية في العراق، كما انه سيأثر في نوعية مياهه اضافة الى تأثيره المباشر في نقص كميتها، وهنا تكمن الخطورة اذ ان العراق غير مستعد حالياً لمواجهة هذه الازمة الكبيرة مع استمرار اتباع الاساليب المتخلفة في الري والهدر الكبير في المياه المخصصة للاستخدامات المنزلية وكارثة التجاوزات على الحصص المائية، فضلاً عن ان هنالك تأثير اكبر في نوعية المياه التي تتأثر بالكمية، كما انه سيضر بنظام التخزين وتشغيل محطات توليد الطاقة الكهربائية، وسيكون هنالك ضرر في نظام سد النقص في مياه نهر الفرات شمال بغداد بالاستفادة من مياه نهر دجلة عن طريق التخزين المائي في منخفض الثرثار الذي تعتمد عليه الاراضي الزراعية في حوض الفرات الذي يعاني من قلة وارداته المائية بسبب السدود التي أنشأت في تركيا وسوريا التي سبقت مشاريع دجلة وبالتالي تدني في إنتاجها الزراعي وزحف التصحر وانكماش الأراضي الصالحة للزراعة وقلة مناسيب المياه في دجلة والفرات معاً(علي، 2015).

ومن التحديات الاخرى في ملف الحصص المائية ما يتعلق بضعف الاهتمام بملف التفاوض على حقوق العراق المائية، والاكتفاء بلقاءات وتصريحات هنا وهناك في هذا الملف المصيري، كما يندرج التفاوض العام خلال السنوات السابقة على طرف احادي مع الدول المتشاطئة وبالأخص تركيا وايران وتقوم به وزارة الموارد المائية مع حضور وزارة الخارجية، علماً ان الموضوع يحتاج الى رفد من وزارات لها علاقة بموضوع النشاط الدبلوماسي في مجال المياه كوزارة التخطيط ووزارة التجارة للاستفادة من ملفات الاستيراد في دول حوضي نهري دجلة والفرات في (تركيا وايران وسوريا) في مراعاة حقوق العراق المائية وتعزيز اسس وقابليات التفاوض حتى تنتقل من الاتفاقات المؤقتة الى الاتفاقات الدائمة والتي تضمن تدفق كافي من نهري دجلة والفرات باتجاه العراق.

وبهذا الصدد نشير الى ضرورة وضع اسس للاتفاق على نسب مياه نهر دجلة بشكل عقلاني عن طريق رفد دول الحوض لبعضها بمعلومات متكاملة عن الوضع الهيدرولوجي للنهر والاتفاق على انه حوض منفصل ام متصل مع نهر الفرات وهو ما لم يحدث الاتفاق عليه لحد الان ومما يزيد من صعوبة الاتفاق هو الواقع السياسي المرتبك في الدول التي تمر بها الانهار المشتركة. وقد شهدت الفترة الممتدة بين 1920 – 1986 إنشاء اللجان الفنية والاقتصادية الثلاث المشتركة بعض الاتفاقات، ونورد هنا قائمة بالتفاهمات بين الدول المشتركة في حوض الانهار المشتركة، وتشمل الاتفاقيات بشأن نهري دجلة والفرات، والاجتماعات الفنية

جدول (10)السدود الحديثة على روافد نهر دجلة

ت	أسم السد	نوع السد	الموقع/المحافظة	الارتفاع متر	الخزن التشغيلي/ مليون م3	سنة الانجاز	الملاحظات
1	هراوه	ترابي/لب طيني	السليمانية	22,5	0,764	2007	تمت دراسته وتصاميمه وتحويله من قبل منظمة الاغذية والزراعة FAO
2	سدود وادي ازمر عدد 7	سدود غاطسة	السليمانية	-	-	2006	انجزت (5) سدود سنة 2004 ثم (2) سدان انجز سنة 2006
3	سد بهيري	ترابي ذو لب طيني	دهوك قرب قرية بهيري	18	0,380	2005	انشيء السد بالتعاون مع الفيلق الامريكي
4	قزانية	سد خرساني غاطس	ديالى (وادي حران)	6,5	0,900	2009	للسد مسيل مائي بعرض (130م)
5	شيرين	ترابي/لب طيني	كركوك	19	1,325	2009	له مسيل مائي بعرض (50م)
6	بلكانه	ترابي ذو لب طيني	كركوك	25,20	0,890	2009	له مسيل مائي بعرض (35م)
7	كشكان	ترابي ذو لب طيني	دهوك	22,5	1,00	2009	له مسيل مائي بعرض (35م)
8	مندلي	ترابي ذو لب طيني	محافظة ديالى	14	3,62	2010	له مسيل مائي بعرض (250م)
9	الوند	املائي/ ذو لب طيني	على نهر الوند في محافظة ديالى	24	37,82	2013	يصب نهر الوند في نهر ديالى قرب (خانقين) وله مسيل مائي بعرض (210م)
10	الشهابي	ترابي/ ذو لب طيني	واسط على وادي الجباب	9	0,9 الخزن الاقصى 0,8 الخزن	2013	السد منجز وقد استعمل في شهر ايار/2013

						التشغيلي	